

المعالم الأثرية في مدينة سامراء وكيفية توظيفها سياحياً

أ.د. عابد براك الأنصاري

الباحثة: رغد عبدالواحد طه

جامعة سامراء - كلية الآثار

المقدمة:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...﴾ [يوسف: من الآية، ١١١].
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً بلا اعوجاج، وجعله عصمة لمن تمسك به واعتمد عليه في الاحتجاج، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشرك بإيضاح الشرعة والمنهاج. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، على رغم أنوف ذوي الجهالة واللجاج، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، الذي مزق ظلام الشرك بما معه من السراج الوهاج، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا الكفار وباينوهم من غير امتزاج.

أما بعد:

تعد مدينة سامراء من المدن الأثرية المهمة في العراق التي تضم آثار تعود إلى مختلف الحقب الزمنية وخاصة الآثار التي تعود إلى الدولة العباسية إذ كان لها تاريخ عريق امتد قروناً وحكم فيها أعظم الخلفاء العباسيين وبنوا فيها أجمل القصور التي لازالت إلى اليوم تشهد على ما كانت عليه المدينة من عمران وتطور إذ حكمت سامراء العالم أكثر من (٥٠) عاماً وكانت مدعاة فخر العباسيين، وأنشئت مدينة سامراء في أواخر الربع الأول من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وظلت مركزاً لإقامة الخلفاء العباسيين وعاصمة لهم خمسين عاماً بعدها عاد الخلفاء إلى بغداد.

وسمي الجوسق الخاقاني نسبة إلى أحد اتباع الخليفة المعتصم بالله المسمى خاقان عرطوج أبا الفتح بن خاقان وهو يعتبر من أهم الأبنية في سامراء ليس فقط من الناحية السياسية وأيضاً من الناحية المعمارية إذ يتكلم البحث عن كيفية استغلال هذا القصر خاصة والآثار في سامراء عامة، وتوظيفها في السياحة للتنمية والنمو الاقتصادي للمدينة وهي أيضاً تساعد على تشغيل الصناعات التقليدية وتوفير العملات الصعبة للبلاد، ويتم ذلك عن طريق استغلال الأرض حولها وبناء المنتجعات والفنادق والمحلات السياحية والاهتمام بالبنى التحتية وعمل الدعايات والاعلانات ونشر المنشورات ذات الموضوعات الشيقة التي تساعد على جذب أكبر عدد ممكن من السياح.

وقد قسمنا البحث إلى ثلاث مباحث يتكلم المبحث الأول منها عن نبذة تاريخية عن مدينة سامراء، والمبحث الثاني يتكلم عن قصر الخليفة المعتصم (الجوسق الخاقاني)، ويتكلم المبحث الثالث عن كيفية توظيف المعالم الأثرية في السياحة، والخاتمة التي توصل بها الباحث إلى عدة نتائج.

وقد واجهتنا صعوبات عدة لعدم توفر مصادر ومراجع أو بحوث عن المبحث الثالث. واستخدمنا في هذه الدراسة منهجية البحث العلمي التاريخي. وقد اعتمدنا على الكثير من المصادر والمراجع، وفي الختام نأمل أن تكون هذه الدراسة، على الرغم من طراوة عودها، لبننة في صرح الوحدة الإسلامية، ومساهمة فيها، وان نكون قد وفقنا لجعل هذا البحث مصدراً وافياً، والحمد لله على الإتمام، وأفضل الصلاة على سيدنا محمد واله وصحبه وأطيب السلام. ونسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يتوفانا مسلمين، وأن يلحقنا بالشهداء والصالحين، وأن يجعلنا من عباده المتقين الفائزين، ويجعل ما كتبته خالصاً لوجهه الكريم، بمنه وكرمه، وأن ينفعنا به ووالدينا وأهلينا، وخصوصاً أخينا أبو علي "ساجد" فك الله أسره، ولسائر المسلمين أجمعين. آمين يا رب العالمين.

المبحث الاول

نبذة تاريخية عن مدينة سامراء

تُعد مدينة سامراء من مدن العراق الموعظة في القدم لما تمتلكه أرضها من مواقع أثرية كما وتعد من محطات رجال المسلمين، لما فيها من أماكن دينية ومنها مرقد الإمامين الهادي وابنه الحسن العسكري "عليهما السلام" وتعد من مواضع العراق البارزة في مجال السياحة التاريخية لإحتضانها عدة شواخص تاريخية وأثرية كان لها اثر بارز ومهم على مر التاريخ، ومنها المئذنة الملوية وقصور الخلافة لعدة خلفاء عباسيين، وتقع سامراء على الضفة الشرقية لنهر دجلة ما بين مدينتي بلد وتكريت وتقع الى الشمال من مدينه بغداد على ١٢٠ كم^(١).

ان موقعها المدني لم يتغير عبر الزمن الذي ولدت فيه ثم الزمن الذي نمت فيه وصولا الى حالها الحضري اليوم، اذ انها في نظر العديد من الباحثين قد قامت فوق اجزاء من اطلال مدينة سر من رأى العباسية وفوق الموقع الذي يحتضن حصن سوميرة القديم^(٢).

اختطت سامراء في عام ٢٢١هـ / ٨٣٦م وقد تعددت الآراء في سنة البناء والتأسيس وكان البناء بعهد وارشاف مباشر من الخليفة العباسي المعتصم بالله ابن الخليفة العباسي هارون الرشيد لتكون مدينته عاصمة الخلافة العربية الاسلامية بديلاً عن بغداد^(٣).

لقد عني الخليفة المعتصم بالله بمدينته عناية فائقة ولقد اتسعت المدينة في عهده بين عشية وضحاها وقضى السنوات الستة الباقية من حياته فيها اذا انه توفي سنة سبعة وعشرين ومائتين هجرية ودفن في القصر الخاقاني وهو: "من اجمل القصور في سامراء بناه عرطوج ابا الفتح بن خاقان وهو من فراغنة الاتراك كان باسلاً شجاعاً وقد تميز بموقعه الاستراتيجي وعمارته الراقية" ولم تكن المدينة قد اكتمل بناءها حينما توفي لكن التطور الحضاري والعمراني للدولة العباسية استمر من دون انقطاع في ايام من جاء بعده من الخلفاء ومنهم المتوكل والواثق والمستعين والمعتز الذين كان لهم نصيب في ترميمها^(٤).

التسمية وسنة البناء:

ذكرها الرازي فقال: "فِيهَا لُغَاتٌ: سُرٌّ مِّنْ رَّأَى، وَسَرٌّ مِّنْ رَّأَى، وَسَاءَ مِّنْ رَّأَى، وَسَامَرَى وهي الْمَدِينَةُ الَّتِي بَنَاهَا الْمُعْتَصِمُ"^(٥).

وقال ياقوت الحموي: "وسامراء: لغة في سرّ من رأى: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة... وفيها لغات: سامراء، ممدود، وسامراء، مقصور، وسرّ من رأ، مهموز الآخر، وسرّ من رأ، مقصور الآخر، أمّا سامراء فشاهده قول البحري^(٦):

وأرى المطايا لا قصور بها ... عن ليل سامراء تذرعه^(٧).

لقد تعددت الآراء حول تسمية مدينة سامراء خاصة وان اسمها لم يقتصر على اسم، وعرفت سامراء بإسم الناحية لأنها كانت على نحو مرتفع من نهر دجلة وسميت ايضا زوراء بني العباس ومدينة العسكر لان طابع بناءها كان عسكريا ولم تنتشر هذه الاسماء على نطاق واسع بل كان شيوعها محدودا.

وبلغت ذروتها في التطور العمراني في بداية بناءها إلا انها تعرضت للخراب على يد كثير من الاقوام التي احتلتها^(٨).

واختلفت الآراء حول التاريخ الذي بُنيت فيه فبعضهم ذكر انها بُنيت سنة ٢٢٠هـ والبعض الاخر ذكر انها بُنيت سنة ٢٢١هـ الى ان استقر رأي الباحثين والاثاريين على سنة ٢٢١هـ وقد تم بناء هذه المدينة في هذه السنة اذا يقول الطبري: "ثم لم يزل يتقدم وتضرب له القباب حتى وضع البناء بسامراء في سنة إحدى وعشرين ومائتين"^(٩)، ولم تكن هذه البقعة اول اختيار للخليفة المعتصم اذ انه جاب وتنتقل في مواقع كثيرة اخرى قبلها اذا اراد ان يختار موقع مناسب قريب من المياه وخاصة نهر دجلة حتى استقر رأيه في سامراء^(١٠).

اسباب البناء:

يعزى بناء مدينة سامراء الى مجموعة اسباب تضافرت وراء قرار البناء إلا ان هذه الاسباب تتفاوت في درجة اهميتها خاصة وان بناء عاصمة جديدة للخلافة والدولة الاسلامية ليس بالأمر السهل، وتشير معظم المصادر القديمة والدراسات الى ان السبب الرئيسي وراء قرار البناء لمدينة سامراء هو رأي الخليفة المعتصم بضرورة فصل الجيش عن العامة فمذ عهد المأمون تواجد عنصر غير عربي في الجيش او المؤسسة العسكرية وهم الاتراك وعدم اتفاقهم مع العامة سبب مشاكل للخليفة، ورأى ضرورة في ابعادهم عن العامة واخراجهم من مدينة بغداد نهائيا^(١١)، وكان خطة المدينة وشكلها الهندسي النهائي قد مر بمرحلتين هما:-

١- مرحلة التأسيس:- وهي مرحلة تأسيس المدينة وقد تمت هذه المرحلة في عهد الخليفة المعتصم.

٢- مرحلة التوسعات:- وهذه المرحلة تمت في عهد الخليفة المتوكل وهي مرحلة ازدهار مدينة سامراء^(١٢).

اسباب اختيار المعتصم مدينة سامراء عاصمة له:-

يقول ابن الفقيه الهمداني ان المعتصم انتقل الى سامراء لسببين هما:-

١- تبعيها لمواليه الاتراك عن ابناء الدعوة من اصل مدينه السلام.

٢- ان ما بين عكيرا واخر ديار ربيعة، انما هو منزل الشراة، فاراد ان ينزل في وسط ديارهم فيشرد بهم ويدفع عاديتهم.

وقد يكون من المناسب ان نذكر ان بغداد كانت مهدده بأخطار الفيضانات وذلك منذ عام ٢١٥هـ / ٧٣٠م، ويذكر الازدي: "وزاد الماء هذه السنة ٢١٥هـ في دجلة زيادة مفرطه" ^(١٣)، ويؤكد الطبري ان المعتصم خرج يريد البناء في سامراء، فصرفه كثرة الماء في دجلة فلم يقدر على الحركة ولعل خطر الفيضان من الاسباب التي حملت الخليفة المعتصم من الابتعاد عن بغداد واختيار سامراء بالذات لكونها تقع في أرض تؤلف جرفا يرتفع عن مستوى النهر عدة امتار مما يجعلها في مأمن من خطر الفيضان ^(١٤).

ولو تتبعنا خط سير الخليفة المعتصم منذ ان غادر بغداد وحتى استقراره في سامراء نرى ان غرضه واضحا في جعل المدينة مركزاً إدارياً للموظفين وجعلها عاصمة للدولة العباسية فلم يكن هدفه ان تكون معسكراً للجيش، ولو ركزنا لوجدنا أن المناطق التي وقف فيها الخليفة للراحة والصيد تصلح ان تكون معسكراً للجيش لكنها لا تصلح ان تكون مدينة فيها معسكر للجيش فضلا عن دور القواد والكتاب والموظفين والناس والاسواق، اذا ان الخليفة كان من البداية يخطط ليترك بغداد ويبحث عن عاصمة جديدة يؤمها الناس وتصبح عاصمة تخلد اسمه وكان موضع سامراء مناسب لهذا الغرض ^(١٥).

المبحث الثاني

قصر الجوسق الخاقاني (قصر المعتصم)

وهو من أجمل القصور التي بُنيت في مدينة سر من رأى بناه عرطوج ابا الفتح بن خاقان ولذلك أطلق عليه الخليفة المعتصم اسم (الجوسق الخاقاني) ويعد هذا القصر من أبرز القصور العربية الإسلامية المتميزة بموقعها الاستراتيجي وعمارتها الراقية. ويقف هذا الشاهد بكل ما ضمه من تكوينات معمارية متينة وزخارف دقيقة دليلاً على رقي العمارة الإسلامية بينما تكشف التشكيلات الزخرفية عن براعة الفنان المسلم في ذلك الوقت فإن (الجوسق الخاقاني) اوسع وافخم القصور الإسلامية ليس في العراق فحسب بل في جميع انحاء العالم الإسلامي، فهو عبارة عن مدينة صغيرة تضاهي مدن صغيرة بمساحتها ويشغل هذا القصر مساحة من الارض مساحتها ١٧٥ هكتار خصص ٧١ هكتار منها للحديقة والبقية لأبنية القصر، لقد اغفلت النصوص التاريخية وصف القصر الكبير وما كتبه المؤرخون والجغرافيون العرب عن سامراء قد اهمل ومع ذلك فإن الابحاث التي كتبها علماء الآثار تؤلف مادة كافية للبحث^(١٦).

موقعه:

يقع قصر الخليفة على الضفة الشرقية لنهر دجلة وكانت المساحة بينه وبين النهر تمتد في عرضها مسافة (٦٠م) تقريباً، وكان هذا القصر يقع على احد الشوارع المهمة في مدينة سامراء وهو شارع الخليج الممتد بمحاذاة نهر دجلة^(١٧) حيث كان موقعه على حافة نهر دجلة، اما الارض التي شيد عليها فإن المراجع العربية تذكر بأنها كانت صحراء لا عمارة فيها سوى دير للنصارى اشتراه الخليفة من اصحابه، وتكثر فيها الشقوق والمناطق الحصوية وهذا القصر من اهم القصور التي اقامها الخليفة المعتصم في سامراء، بل ويعتبر من اهم الأبنية في مدينة سامراء ليس فقط من الناحية السياسية لانه كان مقراً للخلافة العباسية وان احداثاً سياسية جرت بالقرب منه وانه استمر بلعب دوراً مهماً لفترة طويلة، وان له أهمية اخرى حيث اتساع مساحته وشكله التخطيطي وعناصره المعمارية وما فيه من زخارف جداريه^(١٨).

المساحة:

ان اطلال هذا القصر وبقايا ابنيته وملحقاته تنتشر على مساحة تقدر بمليون متر مربع^(١٩) وكانت فيه اقسام عديدة ومرافق سكنية كثيرة ففيه مجلس الخليفة ودار الاجتماعات وقاعات الإستقبال والتشريعات وفيه بيت المال "الخرائن العامة والخاصة" وبعض الدواوين وخرائن السلاح وثكنات للجند وساحات للفروسية ومضمار لسباق الخيل^(٢٠).

التخطيط:

روعي في تخطيط القصر ان يكون مناسباً مع موقعه على ضفة نهر دجلة الشرقية والمدخل الرئيسي للقصر "هو باب العامة" ويقع الى الشمال من مدينة سامراء الحالية بزهاء "٢٥ كم" ويبلغ امتداد واجهته "٧٠٠ م" وكانت مساحة القصر كبيرة جدا وذات شكل مستطيل منتظم ممتد من الشرق الى الغرب، وله سور كبير من اللبن ضخم مدعم بالابراج المستطيلة الشكل، حيث ماتزال بعض اجزائه باقية الى اليوم^(٢١)، ويتألف من واجهة تطل على نهر دجلة خلفها ثلاث قاعات تغطيها قبوات نص اسطوانية، ثم صحن مربع في وسطه فسقيه وعلى كل جانب من جوانبها ثلاث غرف ثم قاعة الخليفة وقاعة الحريم، اما قاعة العرش فكان قوامها بهوا مربعا يحيط به من جهاته الاربع قاعات على شكل حرف (T) ووجد على جدرانها الكثير من الزخارف التي امتاز بها الطراز العباسي، وعثر على قاعات صغيرة للنظافة والغسل في قسم الحريم وكان الماء يصل إليها في انابيب من الرصاص او الصلصال، كما كشفت في مواجهة قاعة العرش غرف مربعة كانت تزينها نقوش أدمية وان حالة القصر الحالية لتساعد على وضع مخطط دقيق متكامل في الوقت الحاضر لكن الاستاذ هرتسفلد وضع مخططا عنه يمكن الاعتماد عليه في كثير من الاحيان ويبدو من خلال القاء نظرة عامة على هذا القصر وتخطيطه ان ابعاده الخارجية مترامية الاطراف وغير واضحة تماماً وان اسواراً مختلفة تحيط ببعض اجنحته وقيامه^(٢٢).

الخصائص العامة لتخطيط قصر المعتصم:

ان ابرز ما يتميز به هذا القصر هو ظاهرة وجود محور وسطي تتوزع على طرفيه المباني والوحدات السكنية ويمكن ملاحظة تفاصيله المعمارية والتخطيطية من المدخل الرئيسي للقصر "دار العامة" الواقع في الجهة الغربية، حيث يمر وسط اروقه وفضاءات "ساحات"، ثم مجلس الخليفة حتى يصل الساحة الكبرى للقصر فيجتازها بعد ان يقسمها الى قسمين متناظرين، ويمر بهاوية السباع ثم ساحة الفروسية منتهياً بالبنية المخصصة لمشاهدة ألعاب الفروسية وسباق الخيل^(٢٣).

السور الخارجي:

السور هو الذي يحيط بالمبنى من الخارج ويستخدم السور الخارجي للقصور والجوامع، وهو سور ضخم مبني من اللبن المصنوع من التربة الجصية، أو اللبن المصنوع من التربة الطينية وكانت مادة الربط هي الجص واستخدموا الحصى الكبيرة من الجص في بناء بعض الحيطان وهذا مكشفتة التنقيبات في سامراء^(٢٤).

القباب:

اقتضت الظروف العامة في بعض المناطق إقامة القباب فوق القصور وبخاصة تلك التي يكون موقعها بمثابة مركز التقاطع، الأروقة والممرات أو الأماكن التي بحاجة ماسة إلى دخول كميته كافيته من الضوء لوجودها في عمق البناية ووجود وحدات سكنية بحاجة لتوفير التهوية الجيدة والضرورية، ويرجع العلماء والباحثين إلى وجود قبة فيه في المنطقة الممتدة من الداخل المؤدية إلى الساحة الكبرى باتجاه باب العامة، ووجدت فيه في المنطقة القريبة من الركنين الشمالي الغربي والجنوبي الغربي من ساحة القصر ولوجود مساحات مربعة ووحدات سكنية بحاجة إلى ذلك^(٢٥).

مواد البناء:

ان ابرز مواد البناء المستخدمة في بناء القصر هو الآجر إضافة إلى اللبن والجص الكبير الحجم وقطع الآجر ذات شكل مربع، ومقاسات القطعة الواحدة (٢٨ × ٢٨ × ٨ سم) استعمل في بناء الأقسام المركزية من القصر، أما الأسوار وبعض الأقسام فقد أُستخدِم في بنائها قطع مربعة من اللبن الجصي بقياس (٢٨ × ٢٨ × ٦ سم) وقد كانت أوجه الجدران مغطاة بطبقة من الجص وقد زينت أسافل الجدران بزخارف بنائية هندسية، واستخدمت زخرفة جدارية محفورة لتغطية أسفل بعض الجدران، وكانت الأرضيات في الغالب من الآجر واستخدم القير في تبليط الحمامات والمرافق الصحية لكونه مانع للرطوبة^(٢٦).

الزخارف:

مما لا شك فيه ان هذا القصر كانت فيه من الزخارف الجدارية ما يناسب مكانته، حيث كانت الزخارف مصنوعة من الجص وحتى الخشب المزخرف بطريقة الحفر وبعضها ملونة بالألوان، أما طريقة عمل تلك الزخارف فيتم بطريقة "الحفر - الرسم بالأصباغ الملونة المتنوعة" وكانت أشكال الزخارف أوراق ثلاثية الخصوص تشبه "اللوتس" وهنالك ما يشبه زهرة الزنبق وأوراق وعناقيد العنب، وتحيط بكل مجموعة من هذه الزخارف النباتية إطار مزخرف بحبات اللؤلؤ ذات الأشكال المختلفة منها الدائرية أو السداسية أو الثمانية، فضلا عن أشكال الزخارف الهندسية مثل الدوائر والمربعات والمعينات وكانت هذه تزين باب العامة وجدران القصر وقصر البركة والحير، أما القسم الخاص بالحريم فتزينه رسوم ملونة ذات أشكال مختلفة وقد تطورت هذه الزخارف في الفترات اللاحقة وانتشرت من سامراء إلى العالم الإسلامي^(٢٧).

البركة الدائرية:

تقع البركة الى الشمال الشرقي من باب العامة المطل على نهر دجلة والذي يعد المدخل الرئيسي لدار الخلافة العباسية وزاد اهتمام الخلفاء بالبرك وبناءها واصبحت من العناصر المعمارية المتميزة بتخطيطها وهندستها وبناءها في العمارة الاسلامية (٢٨).

تاريخ البركة:

نظرا لعدم وجود وثيقة تدل على تاريخ البركة سوى ما ذكر انها تقع في قصر الخليفة المعتصم ولذلك ذكرت اغلب المصادر والمراجع انها اعمال الخليفة المتوكل وكان الغرض من انشاءها هو لأجل استمتاع الخليفة وخلق جو رطب لراحته في اوقات الصيف فظهرت لنا هذه البركة قمة الابداع الهندسي المعماري والفن الزخرفي، اي انها صورت ابداع الفنون الاسلامية بالإضافة الى ارتفاع جدرانها من اجل الحفاظ على الجو البارد في اوقات الحرارة الشديدة (٢٩).

وكان الحوض الدائري محاط بجدران الغرف والاواوين والقاعات وقد تم بناءها بشكل متناظر حول الحوض الدائري وبالاتجاهات الاربعة وفتحت هذه القاعات والاواوين بعضها على البعض الاخر بواسطة ممرات داخلية، كل ذلك يخلق جواً لطيفاً رطباً بارداً اوقات الظهيرة في فصل الصيف داخل الغرف والاواوين والقاعات لتجنب الخليفة واهله وحاشيته حر الظهيرة وحرارة الشمس (٣٠).

المميزات المعمارية للبركة:-

تحتل البركة مساحة من الارض تألفت من طابقين الطابق الاسفل مبني في باطن الارض الصخرية، وبني الطابق الاعلى فوق سطح الارض، ولم يتم الكشف عن تفاصيله المعمارية بالكامل يحيط به سور مدعم بأبراج نصف دائرية بلغت مساحة السور (١٨٠ × ١٨٠م) مبني بطابق اجر وجص بلغ سمكه (٥٥،٥م) يتوسط بناية البركة حوض ماء دائري حفر على عمق (٣م) تحت مستوى سطح الارض وغلفت ارضية الحوض وجدرانه بالمرمر لمنع تسرب المياه الى ابنية القصر، والمتمثلة بقاعاته وممراته وظلوانه واواوينه، كما عملت في (سقل) كافة الجدران المرمرية للحوض انابيب فخارية استخدمت لصيد الاسماك او تكاثرها، حيث عثر على هياكل عظمية لأسماك الدلفن، وشغلت اركان بناية البركة وحدة بناية مؤلفة من مجموعة غرف تمثل الحمامات ودورات المياه، يغذي البركة بالمياه كهريز يقع في الجهة الشرقية للحوض يأخذ مياهه من النهروان (نهر الرصاصي) وبعد ان يعكر الماء ويتوسخ يخرج بكهريز ثاني يقع قبالة الكهريز الاول من الناحية الغربية ينصرف منه الماء الى نهر دجلة، اما الحوض الدائري فيملاً بالمياه عن طريق كهريز اشبه بساقية الماء، وبني بمادة الطابوق والجص المخلوط بالنوره لغرض مقاومة



الرتوبة، كان الحوض الحجري يُملأ بالمياه بهذه الطريقة ويستخدم على الاغلب للسباحة والراحة والنزهة، وهذه البركة تدل على مدى التقدم والابداع الذي وصل إليه الخلفاء في ذلك الوقت (٣١).

المبحث الثالث

توظيف المعالم الأثرية سياحياً

توظيف الآثار التاريخية في السياحة محور من المحاور المهمة التي ركزت عليها ندوة المحافظة على الآثار التاريخية والتراث التي اقيمت مؤخراً بالتعاون بين اتحاد الجامعات العربية وجامعه حلب فما هو الدور الذي يلعبه وتطور المناطق التراثية في تحقيق التقنية السياحية؟ ان التقنية السياحية للمناطق التراثية تعتبر الآن أحد الموضوعات المهمة التي اصبحت تشغل بال العديد من المعنيين في مجال التخطيط العمراني، والحفاظ على التراث خصائص ومقاومات المناطق التراثية، بالإضافة الى المتعنيين والقائمين على صناعة السياحة وحسن ما ذكرته الدكتورة سامية كمال توفيق نصار التي حاولت في منهجيه بحثها الذي قدمته تحت عنوان (دور تطوير المناطق التراثية في تحقيق التقنية السياحية) التركيز على مفهوم السياحة والتقنية السياحية ودراسة الاسس الخاصة لتطوير المناطق السياحية ومن ثم التطرق الى المناطق التراثية ودورها في تحقيق التقنية السياحية^(٣٢).

وذكر الدكتور ابراهيم عبد الباقي محمد ان حركة السياحة وتطورها جزء لا ينفصل من حركة المجتمع وتطوره ورأى انه اذا كان التخطيط ضرورة اساسية لأي نشاط اقتصادي، فإن النشاط السياحي اكثر حاجة الى التخطيط الشامل الذي يربط بين العناصر كافة، والجهود العامة في الحقل السياحي لان السياحة صناعة مركبة تتداخل في قطاعات عديدة وتؤثر تأثيراً مباشراً في التنمية الاقتصادية كما يجب ان يكون هناك إستشعار للعناصر الطبيعية والآثرية والتاريخية، كعناصر للجذب السياحي وترتبط الحركة السياحية ارتباطاً وثيقاً بالآثار التاريخية التي تلعب دوراً كبيراً في نشوء وتطور المراكز السياحية^(٣٣).

وبما تضمنته هذه الآثار من عناصر جذب تنسجم واهميتها التاريخية. ورأى ان وضع اي خطة للنشاط السياحي في اي منطقة لا بد من ان يؤخذ بعين الاعتبار دراسة المواقع الاثرية والتاريخية، اذ ان اهمال هذا الجانب يؤدي الى تعثر خطط التنمية السياحية ان لم يؤد الى اخفاقها مقدماً نموذجاً عن دراسته (مدينة نينوى العراقية ودورها في تنشيط السياحة). اعادة تأهيل المسارات السياحية في المدينة القديمة كمدخل لتطوير السياحة الثقافية، وهذه الورقة الانفة الذكر اهتمت بتسليط الضوء على المحاور التاريخية في المدينة القديمة بما تمتلكه من قدرات كامنة يمكن توجيهها لتصب في صناعة سياحية ثقافية متميزة^(٣٤)، على مستوى المدينة القديمة داخل الاسوار كنواة لسياحة ثقافية يطمح إليها. وذكر الدكتور محمد عطا الله شيخ محمد الذي اعد بحثه بالتعاون مع المهندسة سابينا الفاء، ان البحث يهدف الى تحليل المسارات السياحية المقترحة

من قبل لجنة حماية وتطوير المدينة القديمة ومجموعات العمل المنبثقة عنها ومن ثم توظيف المشكلات التي تعاني منها هذه المحاور (عمرانية - معمارية - فنية - اثرية) (٣٥).

ثم وضع الاقتراحات الكفيلة بإعادة تشكيل الواجهات المحددة لهذه المحاور والمسارات بنية الحفاظ على استمرارية التتابع البصري واصالة الهوية التي طالما تميزت بها أطراف هذه المدينة (٣٦)، وقد تتعرض المدينة كغيرها من المدن القديمة لتغيرات اجتماعية واقتصادية ادت لتغيرات كبيرة في وضاءف الابنية التاريخية القائمة بها، ولذلك حاول المختصون وضع خطط اعادة تأهيل المدينة القديمة وقد قدمت فكرة الترويج لتوظيف المباني الاثرية التي طرحت في السنوات الاخيرة فرصة جيدة لإيجاد بعض الحلول وبسبب ارتفاع التكاليف جاءت فكرة توظيفها سياحياً وثقافياً، وبدلاً من الاستثمارات الصناعية والحرفية اذا انها قدمت مردوداً مادياً منافساً حدّ من ظاهرة الزحف الصناعي والحرفي، لكن المدينة القديمة ورغم الايجابيات الا ان التجربة قدمت العديد من السلبيات على الصعيد الاثري والفني والاجتماعي (٣٧).

كان لا بد للمعنيين التصدي لها ووضع ضوابط للسيطرة عليها والتخفيف من مخاطر تداعياتها. وقد ذكرت الدكتورة بشرى شاکر الشكرجي التعديت على المدينة القديمة في بحثها الذي يتحدث عن سامراء كأول موقع عراقي ليسجل على لائحة التراث العالمي والوطني كمل انها اقدم مدينة مأهولة مازال السكن مستمراً فيها، اضافة لإستمرار الوظائف في معظم مبانيها من جوامع واسواق وحمامات ووجد ان للمدينة القديمة حقوقا علينا تفرض صيانتها والحفاظ على مستويين الاول كتراث عمراني ومعماري عالمي يجب صيانتته لأهمية العظمى، واثباتاً للإسهام الفعال الذي قدمه انسان المدينة في الحضارة الانسانية، والثاني كتراث اجتماعي وقيمة وظيفية استعمالية يجب الحفاظ عليها حياة للأجيال القادمة حيث ان الانسان هو الانسان وهو الاساس في صيانة وحماية مدينته التي يجب ان تكون حية ليعيش فيها (٣٨).

الخاتمة:

قال تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ... ﴾ [سورة

النمل: من الآية، ٥٩]

قال حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "ما رأيت رجلاً أوليته معروفًا إلا أضاء ما بينه وبينني، ولا رأيت رجلاً فرط إليه مني شيء إلا أظلم ما بيني وبينه" (٣٩).
أف في الختام لهذه الدراسة مع أهم وأبرز التوصيات التي توصلت إليها هذه الدراسة وهي:

- مدينة سامراء من المدن الأثرية المهمة في العراق التي تضم آثار تعود إلى مختلف الحقب الزمنية وخاصة الآثار التي تعود إلى الدولة العباسية إذ كان لها تاريخ عريق امتد قرونًا وحكم فيها أعظم الخلفاء العباسيين.
- تعتبر مدينة سامراء من مدن العراق الموعلة في القدم لما تمتلكه أرضها من مواقع أثرية كما وتعد من محطات رجال المسلمين المقدسة وان موقعها المدني لم يتغير عبر الزمن الذي ولدت فيه ثم الزمن الذي نمت فيه وصولاً إلى حالها الحضري اليوم.
- توظيف الآثار التاريخية في السياحة محور من المحاور المهمة التي ركزت عليها ندوة المحافظة على الآثار التاريخية والتراث.
- ان التقنية السياحية للمناطق التراثية تعتبر الآن أحد الموضوعات المهمة التي أصبحت تشغل بال العديد من المعنيين في مجال التخطيط العمراني والحفاظ على التراث خصائص ومقومات المناطق التراثية بالإضافة إلى المتعنيين والقائمين على صناعة السياحة.
- روى سيدنا عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى) (٤٠).
- هذا والله الحمد من قبل وبعد، ونسأله سبحانه ان يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، ويثقل به موازيننا، ويقربنا به من صاحب الحوض ويسقينا بيده شربة ماء.

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

- (١) الناصري، ابراهيم فاضل: موسوعة التراث الثقافي لمدن محافظه صلاح الدين، رند للنشر، التراث المادي لمدينة سامراء (٢٠١١م) ٢٧.
- (٢) الناصري: موسوعة التراث الثقافي، ٢٨.
- (٣) ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت، ٦٢٦هـ): معجم البلدان، ط ٢ (بيروت، ١٩٩٥م) ٣ / ١٧٤؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت، ٧٠٩هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، (بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) ٢٢٨؛ الأنصاري، د. عابد براك وآخرون: تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي (بغداد، د. ت) ٣٣.
- (٤) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ٢٢٩؛ عبد الباقي الصمد، سامراء عاصمه الدولة العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٨٩م) ٢٨.
- (٥) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت، ٦٦٦هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥ (بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ١ / ١١٥.
- (٦) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري: شاعر كبير، يقال لشعره "سلاسل الذهب". ولد سنة ٢٠٦هـ بمنبج (بين حلب والفرات) ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، كانت وفاته سنة ٢٨٤هـ بمنبج. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد: الأعلام، ط ١٥ (دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م) ٨ / ١٢١.
- (٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣ / ١٧٣؛ دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٥ / ٣٧٠.
- (٨) الغنيمين، طاهر محمد هارون: الاعمال الجصية في سامراء، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية (٢٠٠٤م) ١، ٤، ٦.
- (٩) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي (ت، ٣١٠): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت، ١٤٠٧هـ) ٥ / ٢١٣؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت، ٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ١١ / ٥٤.
- (١٠) الخليلي، محمد: موسوعة العتبات المقدسة، قسم سامراء (د. ت) ١ / ٢١٣.
- (١١) الغنيمين: الاعمال الجصية في سامراء، ١٢.
- (١٢) السامرائي، مجيد ملوك: سامراء وتطورها الحضاري، المطبعة المركزية (جامعه ديالى، ٢٠١٣م) ٦٤.
- (١٣) خالد، عزام: موسوعة التاريخ الاسلامي، العصر العباسي، دار اسامه للنشر والتوزيع عمان (الاردن، ٢٠١٥م) ١٥٠.
- (١٤) الطبري: تاريخ، ١١٨.

- (١٥) خالد عزام: موسوعة التاريخ الاسلامي، ١٥٠.
- (١٦) الناصري: موسوعة التراث الثقافي، ١٣١ - ١٣٣.
- (١٧) علي، عبدالرحمن محمد: الكشف عن نافورة في قصر الخليفة، مجلة سومر، المؤسسة العامة للآثار والتراث (١٩٩٩ - ٢٠٠٠م) ١ / ٥٠.
- (١٨) حمودي، خالد خليل: قصر الخليفة المعتصم في سامراء، مجلة سومر الجزء ١، مجلد ٣٨، دار الحرية للطباعة والنشر (١٩٨٢م) ١٦٨ - ١٦٩.
- (١٩) حمودي: قصر الخليفة المعتصم في سامراء، ١٦٩.
- (٢٠) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب (ت بعد، ٢٩٢هـ): البلدان، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت، ١٤٢٢هـ) ٥٨؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت، ٩٠٠هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢ (بيروت، ١٩٨٠م) ١ / ٣٠١.
- (٢١) للمزيد من التفاصيل <https://wikipedia.com> تعرف على اهم القصور التي شيدها المعتصم www.cairodar.com
- (٢٢) حمودي: قصر الخليفة المعتصم في سامراء، ١٧٠.
- (٢٣) المرجع نفسه، ١٧٢.
- (٢٤) ينظر: جودي، محمد حسين: العمارة العربية الاسلامية، دار المسيرة، الاردن، ط ١ (عمان، ٢٠٠٧م).
- (٢٥) حمودي: قصر الخليفة المعتصم في سامراء، ١٧٢.
- (٢٦) المرجع نفسه، ١٧٣.
- (٢٧) المرجع نفسه، ١٧٣.
- (٢٨) السامرائي، اسماعيل محمود: صيانة بركة سامراء لعام (٢٠٠٢م)، دار الحوراء للطباعة (بغداد، د. ت) ١ / ٣٧٧.
- (٢٩) الحياتي، حافظ حسين. علي، حسين عبيد: البركة الدائرية (داخل قصر الخليفة- سامراء - تنقيب وصيانة) مج ٤٨، دائرة الآثار والتراث، مجلة سومر (١٩٩٦م) ٨٩ - ٩٠.
- (٣٠) السامرائي، اسماعيل محمود: صيانة بركة سامراء، ٣٧٧ - ٣٧٩.
- (٣١) المرجع نفسه، ٣٧٨ - ٣٧٩.
- (٣٢) رامية رشيد: المحافظة على الآثار التاريخية والتراث، العدد: ١٤٨٥١، (حلب، ٢٠١٧م) ٥ / ٢.
- (٣٣) محمد، ابراهيم عبد الباقي: السياحة في مصر كيف نوظف المباني والآثار سياحياً، الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني (٢٠١٤م) ١٢٥.
- (٣٤) ابراهيم عبد الباقي محمد: السياحة في مصر، ١٣٠ - ١٣١.
- (٣٥) تحليل المسارات السياحية المقترحة لتطوير المدينة القديمة، ٥١.
- (٣٦) المرجع نفسه، ٥١.
- (٣٧) ابراهيم عبد الباقي محمد: السياحة في مصر، ١٣٠ - ١٣١.

- (٣٨) الشكرجي، بشرى شاكر: المبرمج التسويقي السياحي في تعيين جودة السياحة، جامعه الكوفة، رسالة ماجستير (٢٠١٧م) ١١٩.
- (٣٩) ابن مفلح، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الراميني الصالحي الحنبلي (ت، ٧٦٣هـ): الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب (د. ت) ١ / ٣٠٩؛ الأنصاري، أ. د. عابد براك: الدراسات النقدية لكتب التاريخ الإسلامي وأثرها في تعزيز الوحدة الوطنية، دار امجد للنشر والتوزيع (عمان، ٢٠١٦م) ١٥٠.
- (٤٠) ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري (ت، ٣١١هـ): التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد - السعودية، طه (الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ٢ / ٨٦١؛ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت، ٣٦٠هـ): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢ (القاهرة، د. ت) الحديث (١٣١٨٠) ١٢ / ٣٠٢؛ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت، ٤٥٨هـ): السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣ (بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) رقم الحديث (١٧٣٤٢) ٨ / ٥٠١.